

الانتقاد على: "تاريخ التمدن الإسلامي" (*)

العلامة محمد شبلي النعماني رحمه الله تعالى

مقدمة التحقيق:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد، فإن هذه المجموعة التي بين أيديكم تضم كتابين لشمس العلماء العلامة شبلي النعماني رحمه الله: الانتقاد على كتاب تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ورسالته المشهورة الجزية والإسلام. وميزتهما أنها جميعاً مما كتبه العلامة شبلي نفسه باللغة العربية.

أما الكتاب الأول، فهو أشهر وأبلغ ما كتبه بالعربية، وهو الذي دلّ علماء العرب على سعة علمه ودقة بحثه واضطلاحه من فن التاريخ وتمكنه من ناصية البيان. وقد طبع في الهند سنة ١٩١٢م، وفي الوقت نفسه طبع في صورة مقالات في عدة أجزاء من مجلة المنار، فكانت كصاعقة وقعت على كتاب جرّجي زيدان وكادت تحرقه! فمهما تُرجم الكتاب فيها بعد أو نُشر لم ينفعه بعد ما ذهبت الثقة به، ولم تستطع تعليقات الدكتور حسين مؤنس - على جودتها - في طبعته الجديدة أن تعيد إليه تلك الثقة الذاهبة. ثم طبع السيد رشيد رضا كتاب الانتقاد في كتاب مفرد مع نقداً أخرى لمؤلفات جرّجي زيدان. ثم صدرت طبعة أخرى منه عن دار المصنفين سنة ١٩٩٨م.

أما رسالة الجزية، فكتبها العلامة شبلي أولاً باللغة الأردية وطبعت سنة ١٨٩١م، ثم نقلها نفسه إلى اللغة العربية، وطبعت في الهند سنة ١٨٩٤م. وهي مع قصرها من أشهر بحوث العلامة شبلي التي أثارت إعجاب الباحثين، فأتنوا عليها ثناءً وافراً، فإنهم لأول مرة عرفوا حقيقة الجزية، وأن المسلمين

* نتشرف في هذا العدد بنشر الجزء الأول من هذا السفر العظيم للعلامة محمد شبلي النعماني رحمه الله الذي هو غني عن التعريف، أما سفره هذا في نقد جرّجي زيدان فيكفينا عرض ما جاء في مقدمتي المحقق محمد أجمل أيوب الإصلاحي والعلامة محمد رشيد رضا فكلاهما شرحا الخلفية لتأليف هذا السفر وصدوره من قلم العلامة شبلي البارع النابغ وكيفية نشره في الهند ومصر.

لم يخترعوها، وأنها كانت عوضاً عن المنعة أي يعفى الذين يؤدون الجزية من الجهاد مع المسلمين، والمسلمون هم يدافعون عن أولئك. ومن قاتل مع المسلمين أعفى منها. وقد وجد السيد رشيد رضا نسخة منها في مصر، فطبعها في المجلد الأول من مجلة المنار سنة ١٨٩٩م. وأنتهز الفرصة هنا لأشكر الدكتور عطاء خورشيد مدير قسم المخطوطات في مكتبة مولانا آزاد بجامعة ^{المعهد} الذي تفضل بتصوير الطبعة الهندية من هذه الرسالة.

وبينما كنت أتصفح مجلة المقتبس للأستاذ محمد كرد علي، إذ وقفت على ملخص لرسالة العلامة شبلي عن حريق مكتبة الإسكندرية، وهي كرسالة الجزية من أشهر رسائله، ردّ فيها على اتهام المسلمين بإحراق مكتبة الإسكندرية عند فتحها. وقد طبعت باللغة الأردنية سنة ١٨٩٢م، وترجمت إلى الإنكليزية. ومن هذه الترجمة لخصها وترجمها الأستاذ محمد لطفي جمعة بناء على طلب الأستاذ محمد كرد علي. وكانت هذه الرسالة القيمة جديدة بأن تترجم كاملة، ولكن ضاق الوقت، فرأيت أن أقصر الآن على نشر هذه الخلاصة، وإن كان هذا الطل لا يغني عن ذلك الوابل، فإنها خلاصة مقتضبة جدًّا جاءت في ست صفحات من المجلة لبحث مبسوط استغرق ٦٧ صفحة في أصله الأردني، و ٤٧ صفحة في ترجمته الإنكليزية. بل كلام المؤلف على مكتبة الإسكندرية في كتاب الانتقاد جاء بأوفى مما في هذه الخلاصة.

وختمت المجموعة بنصوص نادرة للعلامة شبلي النعماني أو متعلقة بسيرته وبكتابه الانتقاد. منها: رسالتان بقلمه عن ألف ليلة وليلة، وابن المقفع نشرتا في مجلة الهلال لرجي زيدان. ومنها رسالتان ناقصتان، إحداهما من العلامة شبلي إلى جرجي زيدان، وقد نشر بعضها في مقدمة المجلد الثاني من تاريخ التمدن الإسلامي. والأخرى من جرجي زيدان إلى العلامة شبلي، وهي رسالة عتب وشكوى بعث بها الكاتب بعد وقوفه على الانتقاد وما وُصف به فيه من الكذب والخيانة والافتراء. وهذه الرسالة هي التي ذكر السيد رشيد رضا في ترجمة العلامة شبلي أنه أطلع عليه عليها في رحلته الهندية. ولم أجد الرسالة كاملة، فإنها قد تمزقت وانشطرت شطرين. وقد عثر على النصف الأعلى منها ضمن كتاب محفوظ في مكتبة دار المصنفين صديقنا الدكتور محمد إلياس الأعظمي، فنشرها في بعض مؤلفاته. وقد أرسل إلي مشكورًا صورة مما نشره، ثم جاءني صورة الأصل من إدارة دار المصنفين.

أما النصوص الأخرى فكلها بقلم السيد رشيد رضا. ومنها مقدمته لكتاب الانتقاد التي نشرها أولاً في مجلة المنار، ثم في أول نشرته للكتاب. وهذه النشرة نادرة وقد بحثت عنها هنا، فلم أجدها، فكاتبت الأخ الباحث "صاحب عالم الندوي" المقيم في القاهرة، فصوّري - جزاه الله خيراً - صفحات من

النسخة المحفوظة في مكتبة جامعة القاهرة. والنصوص الأخرى للسيد رشيد رضا كلها - سواء كانت مستقلة أو مأخوذة من كتاباته - في سيرة العلامة شبلي النعماني، عدّ فيها العلامة شبلي النعماني "أشهر نوايغ علماء الهند"، ويبيّن فضائله ونبوغه العلمي وجهوده في الإصلاح، وإسهامه في تأسيس ندوة العلماء، وطول بابه في اللغة العربية، وحسن ذوقه في فهم منشورها ومنظومها، ثم قدرته الفائقة على الكتابة الفصيحة القوية فيها. أما فن التاريخ فصرّح السيد بأن العلامة شبلي قد أتقنه "إتقاناً لعله لا يوجد في العالم الإسلامي كله من يساويه فيه الآن".

لا شك أن رسالة الانتقاد ورسالة الجزية كليهما كانتا مطبوعتين، وإذا كانت الأخيرة قد أصبحت نادرة الآن، فإن الأولى طبعت قبل مدة طبعة جديدة في دار المصنفين. ولكن سيرى القارئ أن هذه النشرة لكتاب الانتقاد وغيره نشرة جديدة مباينة لما سبقها، وأتبع في نشرها المنهج العلمي المعروف في تحقيق النصوص. وقد مهدت لها بفصول قصصت فيها قصة تأليف كتاب الانتقاد، وبينت ترتيب مباحثه وأهميته، ووصفت طبعاته السابقة، وشرحت طريقتي في إعداد هذه الطبعة. ثم أفردت كلا من رسالة الجزية

مكتبة الإسكندرية

قصيرة للعلامة شبلي النعماني، ولكن حال دونها ضيق الوقت، فلعلي أستدركها في الطبعة القادمة إن شاء الله. وأعتذر إلى القراء العرب من استعمال التقويم الميلادي في هذا الكتاب، فإن حدائمه وقعت في الهند أيام الاستعمار الإنكليزي، وكان التاريخ بالميلاد هو الراجح فيها وإلى الآن، فلم أغير .

وقد سبق الشكر في غضون الكلام لبعض الأصدقاء الأفاضل الذين قدموا إليّ العون بتصوير . وأخص بالذكر هنا صديقي الأستاذ محمد عزيز شمس، الذي صور لي

مقال الأستاذ الأديب مسعود عالم الندوي رحمه الله في ترجمة شبلي بعنوان "مؤسس النهضة الفكرية في الهند: العلامة شبلي النعماني"، وقد نشرها في مجلة الضياء . ثم أرسل إليّ

مجلدات مقالات شبلي الجزية مكتبة الإسكندرية، ولم تكن عندي هنا في خيرا.

والآن بقي علي . أما الأول فلأستاذنا الدكتور اشتياق أحمد الظلي

. فهو الذي اقترح عليّ تحقيق كتاب الانتقاد، ولم يزل يحثني على إتمامه.

وأستأذنه هنا لأقول كلمة لا يرضى بها هو، ولكنها كلمة حق يجب أن تقال، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، كما جاء في الحديث. وهي أنه تولى إدارة دار المصنفين في ظرف عسير، إذ كانت حالتها المادية سيئة للغاية، وكأنها مشرفة على الانهيار، فاستفرغ جهده في تطويرها وتحسينها، فسرعان ما انتعشت، وعاد إليها بهاؤها

وبهجتها. ة الطباعة والنشر، فأعيدت طباعة كتب كثيرة كانت نافذة منذ زمن بعيد، وعني فيها بالتصحيح وجمال الإخراج. فنحمد الله سبحانه على أن قيضه لإدارة هذه المؤسسة العلمية العريقة، فقام بها خير قيام، ونسأله عز وجل أن يشكر مسعاه، ويعينه، ويوفقه للمزيد.

بني العزيز عمار الذي ذكرت له رغبة الدكتور الظلي في تحقيق

الانتقاد، ففاجأني ذات يوم بنسخ كتاب الانتقاد

. ثم ساعدني على مقابلة معظمها على أصولها فضيق علي مجال الاعتذار.

ضبط والتصحيح والتعليق تولى هو مرة أخرى التعديل والتنسيق وتجهيز النسخة النهائية للطبع. ولم يكتف بهذا بل تكفل بإعداد الفهارس الفنية للأعلام والأماكن والكتب الواردة في متن الكتاب. وهكذا قد شاركتني في إعداد هذه المجموعة ولم يبق إلا
فالله أسأل أن يصلحها ويزيدها علما ويوفقهما للعمل بما علمهما. أما إخراج الكتاب في هذا المظهر المشرق، فراجع إلى عناية شقيقي الأصغر الأستاذ أبي طلحة الإصلاحي صاحب مكتبة البلاغ في دهلي،

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت في خدمة هذه المجموعة وتقديمها إلى قراء العربية بصورة علمية تليق بمنزلة مؤلفها العلامة شبلي النعماني رحمه الله ومجمعه العلمي دار المصنفين، والله ولي التوفيق.

محمد أجمل أيوب الإصلاحي

١- * قصة تأليف كتاب الانتقاد:

(-) تاريخ التمدن الإسلامي

م، وتلقاه المستشرقون بحفاوة بالغة لكونه على منهجهم في دس المطاعن في تضاعيف الكلام بطرق ذكية بحيث يظهر للقارئ الغر أنه تقدير وثناء، وهو في باطنه ذم وهجاء. وأهدى المؤلف نسخة منه إلى صديقه العلامة شبلي النعماني لعلاقة علمية قديمة كانت بينهما. وقد أشار في رسالة له (ستأتي في الضمائم) إلى هذه العلاقة التي امتدت نحو عشرين سنة.

لا أدري أكان الشيخ يتابع روايات جرجي زيدان التاريخية التي كان ينشرها في مجلة الهلال

إلى إساءته من خلالها إلى التلامي، ولكن لم يحملها

* من هنا تبدأ الكلمات التمهيدية للعلامة محمد رشيد رضا على كتاب مولانا شبلي النعماني.

محمل الجدل . تاريخ التمدن الإسلامي

كله، ثم هو داخل في صميم تخصص الشيخ واهتمامه. فلما تصفحه - وهو الخبير بكتابات المستشرقين وطرائق بحثهم - وانكشفت له مقاصد المصنف وأساليبه الخفية في الطعن في الخلفاء الراشدين وبنى أمية والعرب عموماً بالكذب وتحريف النصوص وما إلى ذلك تألم "وبات كما بات السليم المسهد" وثارت حميته للدين والعلم والتاريخ، فهم بالرد عليه.

العلماء وغير . المصدر الذي ينقل منه محيلاً على المجلد والصفحة منه في الكتاب في أوله على وجه العموم، فإذا أراد أحد أن يحقق ما ذكره المؤلف لم يدر . فكان تتبع مصادر آرائه والكشف عن جهله أو خلطه وتحريفه فيما ينقله أمراً في غاية الصعوبة، فكتب الشيخ إلى جرجي زيدان ليشكر له هذا الإهداء، ويطلب منه الإحالة على مصدر ما ينقل في كل موضع، ليتمكن مراجعته. وقد نقل جرجي زيدان معظم هذه الرسالة في مقدمة المجلد الثاني. جاء فيها، وانظر كيف انتقد الشيخ ما انتقده، ثم كيف تلطف فيما أراغه بذكر المفسدة الأولى

!

"... ولكنني أنتقد عليكم أمراً لا يسعني كتمانها، وهو أن دأبكم في التأليف أنكم تكتفون بذكر مصادر الكتاب في أوله إجمالاً من غير التزام الاستشهاد في كل محل وموضوع، وفيه مفاصد كثيرة. : أننا رأينا كثيرين من مستشركي أوربا يذكرون أموراً مهمة عن المسائل العلمية أو الاختراعات وينسبونها إلى العرب، فنغتر بذلك، ويذهب بنا الفخر كل مذهب، ثم إذا راجعنا الأصل وحققنا الأمر يظهر أنهم ... : أن كتب التواريخ لها مدارج . فما لم تذكر أسماء الكتب بالخصوص ."

وقد ذكر السيد سليمان الندوي في كتابه في سيرة شيخه حيات شبلي ()

والملايسات التي دفعته إلى الرد على كتاب جرجي زيدان.

أستاذ مصري فاضل مقيم في برلين، وهو الدكتور لبيب محمود، يستفسره فيها عن كتاب في الآلات هذا الكتاب قبل مدة طويلة إلى جرجي زيدان طلب إليه أن يدفع الكتاب المذكور إلى الدكتور لبيب، وأرسل هذا الطلب في طي جوابه إلى الدكتور، وبهذه المناسبة أشار فيه إلى شيء من دسائس جرجي زيدان. وفي الرد على رسالة الشيخ بعث إليه الدكتور برسالة طويلة من برلين

مؤرخة في

م، أيد فيها رأي الشيخ في تاريخ التمدن الإسلامي

. استشارت هذه الرسالة عزيمة الشيخ على نقد الكتاب، ولكن

دون ذلك مرة أخرى، فأوعز إلى تلميذه السيد سليمان الندوي، فكتب أولاً مقالا وجيزا في

مقاصد كتب جرجي زيدان وقيمتها العلمية، ونشره في مجلة الندوة عدد أكتوبر سنة .

ولكن في سنة

حيات شبلي () منها أن المستشرق الألماني يوسف هوروتس أستاذ اللغة العربية بكلية عليكره

اقترح أن يقرر قسم من الكتاب في اختبار شهادة " . ومنها أن مقالا نشر في صحيفة

حقيقة تاريخية

TIMES

لمستشرق

كما أثبتها جرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي

المحاضرات في

مرجليوت المجلد الأول من الكتاب إلى الإنكليزية.

الجامعة المصرية، وإن كان ذلك قوبل بمعارضة شديدة، فلم ينجح المرشحون.

استفزت الشيخ، فاندفع وتصدى للرد على الكتاب.

وقد وصف السيد سليمان الندوي حال الشيخ وهو مكب على العمل، يقلب آلاف الصفحات

لعشرات الكتب ذوات المجلدات والمتعددة الطبعات، يبحث عن نقول المؤلف ويقابلها، والشهر رمضان،

. وظل يشتغل على هذه الحال منقطعاً عما حوله، غير عابئ

براحة جسمه، إلى أن نزل الماء الأبيض في إحدى عينيه، فكاد لا يبصر بها، فأتعب أختها، وثابر ورابط ().

وقد أحزنه أنه لم يتمكن من إتمام نقده كما كان في نفسه، ولكنه استطاع أن يقدم نموذجا

اشتمل عليه الكتاب من المطاعن، ولما سلكه المؤلف في بثها فيه من طرائق مختلفة.

الانتقاد بالأردية، ونشر هذا التلخيص في مجلة الندوة

م قبل أن يطبع الكتاب العربي في العام التالي في الهند وفي مجلة المنار . وكتب إلى

صاحبها في رسالة مؤرخة في : " لا يخفى على أمثالكم أن إغارات جرجي زيدان على أ

العرب في كتابه تاريخ التمدن الإسلامي أكثر من أن تحصى، وإن كل ما دسه وموه به لا أصل له أصلا،

وحين اطلعت على ذلك كاد قلبي أن يتميز من الغيظ، غير أني صبرت وأمعنت النظر فيها له نظر، ولما عيل

- حيات شبلي

- حيات شبلي

عني الصبر ونأى، قمت على ساق، وألفت رسالة أكشف فيها دسائسه. وهي الآن تطبع، وأريد إرسال ما فرغ من طبعة منها إليكم لكي تدرجوه في جريدتكم، وكذلك إلى الفراغ منها بأسرها". وهكذا طبع الكتاب في الهند وفي مجلة المنار، ثم طبعه السيد رشيد رضا في كتاب مفرد أيضا مع

٢- ترتيب مباحث الانتقاد:

نقده بمقدمة وجيزة، استغرب فيها صدور مثل هذا الكتاب وانشاره في مصر . ثم ذكر أنه لاشتغاله بشؤون ندوة العلماء تأخر في التصدي

"معذرة إلى المؤلف". وهو من أروع ما كتبه الشيخ في العربية.

أن أسلوبه في هذا الانتقاد كله يمتاز بقوة البيان وفصاحته، ولكن هذا الفصل قد فاق في ذلك الفصول . وبعد هذا الفصل تأتي الفصول الأساسية وهي:

- عصبية العرب على العجم.

- مثالب بني أمية.

- طرف من مآثر بني أمية وسيرتهم.

تمهيد():

تاريخ التمدن الإسلامي لجرحي أفندي زيدان صاحب الهلال مشهور. وقد سبق لنا تقريره في المنار، ونقد بعض مباحثه.

ه على نظارة المعارف المصرية وطلب منها أن تقرره للتدريس في مدارسها عهدت النظارة إلى بعض أساتذتها بمطالعتهم وإبداء رأيهم فيه، فلما طالعه بينوا للنظارة أن فيه غلطا كثيرا، وأنه غير جدير بأن يعتمد عليه في التدريس ولا المطالعة، فلأجل هذا لم تقرره النظارة.

- نشر هذا التمهيد مع القسم الأول من الانتقاد في مجلة المنار ، العدد الأول، محرم /

. ثم لما نشره السيد رشيد رضا في كتاب مستقل أنشأ له مقدمة أخرى سترها في آخر هذه المجموعة.

طالعوا الكتاب وانتقدوه أنهم لما يكتبوا ما رأوه فيه من الغلط وبينوه للناس، وللمصنف أيضا لعله يرجع إلى الصواب إذا ظهر له، فإنه يدعو الكتاب دائما إلى نقد كتبه.

نعم، إن بعض من قرأه قد انتقده بمقالات نشرت في جريدة المؤيد ما انتقد عليه واعترف ببعض، وقد ذكرت هذا في المنار.

ويرى بعض الناقدين لهذا التاريخ قولاً وكتابة أن مؤلفه يعتمد التحامل على العرب وعلى . وكنت إذا سمعت ذلك منهم أعارضهم وأرجح أنه غير متعمد، وأن السبب في أكثر () () فهم بعض المسائل، كتفسيره لمسألة القول بخلق ألفاظ القرآن بأن القرآن غير منزل من عند الله، وكخطئه فيما ذكره عن ثروة المسلمين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك انتقدناه عليه في المنار. وإما جعل بعض الوقائع الجزئية قواعد كلية عامة، وهذا معهود في جميع . ولكن ظهر لنا مما كتبه بعد ذلك ومن بعض حديثه معنا ومع غيرنا من أصحابه أنه يكاد يكون من الشعوبية الذين يتحاملون على العرب، ويفضلون العجم عليهم. وكان هذا سبب ترجمة هذا الكتاب بالتركية.

وقد انبرى في هذه الأيام الشيخ شبلي النعماني العلامة المصلح الشهير مؤسس جمعية ندوة العلماء في الهند ومحرر مجلتها إلى الرد على هذا التاريخ، وكتب إ الرد بالتدرج، لنشره في المنار، كلما طبع منه شيئاً في لكهنؤ أرسله إلى أن يتم. ولما كان الانتقاد من مثل هذا العالم المؤرخ هو ضالتنا وضالة صديقنا وصديقه المؤلف، بادرنا إلى نشره معتذرين عما في أوله من شدة نالو لم يصرح به وإن أثبتته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

() أن رجلا من رجال العصر يؤلف في تاريخ تمدن

وقلب الحكاية، والخيانة في النقل، وتعتمد ()

. وينشر هذا الكتاب في مصر، وهي غرة البلاد، وقب.

- كذا في الطبعين والمنار : "

- " " المنار والطبعة الثانية.

ومغرس العلوم؛ ثم يزداد انتشارا في العرب والعجم، ومع هذا كله لا يتفطن أحد لدسائسه () ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ﴾ ().

لم يكن المرء ليجترئ على مثل هذه الظيعة في مبتدأ الأمر ولكن تدرج إلى ذلك شيئا فشيئا. فإنه أصدر الجزء الثاني من الكتاب، وذكر فيه مثالب العرب دسيسة. يتطلع بها على إحساس الأمة وعواطفها، ولما لم يتنبه لذلك أحد، ولم ينبض لأحد عرق، ووجد الجو صافيا أرخى العنان، وتمادى في الغي، وأسرف في النكاية بالعرب ()

بي عن النهوض إلى كشف دسائسه اشتغالي بأمر "ندوة العلماء" واتسع الخرق، وتفاقم الشر لم أطق الصبر، فاختلست من أوقاتي أياما، وتصديت للكشف عن عوار هذا التأليف، والإبانة عما فيه من أنواع الإفك والزور، وأصناف التحريف والتدليس.
معذرة إلى المؤلف:

إني أيها الفاضل المؤلف غير جاحد لمتك، فإنك قد نو اسمي في تأليفك هذا، وجعلتني موضع الثقة منك، واستشهدت بأقوالي ونصوبي، ووصفتني بكوني من أشهر علماء الهند، مع أني أقلهم بضاعة، وأقصرهم باعا، وأخملهم ذكرا. ولكن مع كل ذلك هل كنت أرضى بأن تمدحني، وتهجو العرب لرحمك، ترميهم بكل معيبة وشين، وتعزو إليهم كل دنية وشر، حتى

وهل كنت أرضى بأن تجعل بني أمية لكونهم عربا بحتا من أشرف خلق الله وأسوئهم، يفتكون بالناس، ويسومونهم سوء العذاب، ويهلكون الحرث والنسل، ويقتلون الذرية، وينهبون الأموال، مات، ويهدمون الكعبة، ويستخفون بالقرآن؟

وهل كنت أرضى بأن تنسب حريق خزانة الإسكندرية إلى عمر بن الخطاب، الذي شهدت ()
بعده الأرض والسماء؟

-
- قد علم من التمهيد أن كثيرين قد فطنوا لما في الكتاب من الخطأ وبعضهم انتقدوه. (المنار).
 - سورة ص، الآ : .
 - في المنار والطبعة الثانية: "في العرب" . " أيضا في كتابات الأدباء. انظر: المآخذ
 - على شراح ديوان المتنبي، ج نفع الطيب، ج
 - في الطبعة الهندية: " . وجاء في تعليق مجلة المنار: " : . والظاهر أن " .

وهل كنت أرضى بأن تمدح بني العباس، فتعد () أنهم نزلوا العرب منزلة الكلب، حتى ضرب بذلك المثل، وأن المنصور بن القبة الخضراء إرغاما للكعبة، وقطع المير استهانة بهما؛ وأن المأمون كان ينكر نزول القرآن، وأن المعتصم بالله أنشأ كعبة في سامرا، وجعل حولها مطافا، واتخذ منى وعرفات؟

أني الغيرة على الملة والدين، وافتخرت كصنيع بعض الأجانب بأني فلسفة عادم لكل عاطفة ووجدان، فلا أرضى ولا أغضب، ولا أسر ولا أغتاظ، ولا أفرح ولا أتألم؛ وهب أني حملت نفسي على احتمال الضيم، وقبول المكروه، والصمم عن البذاء، ومجازاة ال فهل كنت أرضى تشوه وجه التاريخ، وتدمغ الحق، وتروج الكذب، وتفسد الرواية، وتقلب الحقيقة، وتنفق التهم، وتعود الناس بالخرافة؟ بس ما زعمت أيها الفاضل! فإن في الناس بقايا، وإن الحق لا يعدم أنصارا!

إن الغاية التي توخاها المؤلف ليس إلا تحقير الأمة العربية وإبداء مساويها، ولكن لما كان يجرى القول، ولس الباطل بالحق. بيان ذلك أنه جعل لعصر الإسلام ثلاثة أدوار: دور الخلفاء الراشدين، ودور بني أمية، ودور بني العباس؛ فمدح الدور الأول وكذلك الثالث (ظاهرا باطنًا كما سيحيي).

ولما غر الناس بمدحه للخلفاء الراشدين، وهم سادتنا وقدوتنا في ال العباس، وهم أبناء عم النبي صلى الله عليه وسلم، وبهم () فخارنا في بث التمدن وأبهم بني أمية ليست لهم وجهة دينية، فلا ناصر لهم، ولا مدافع عنهم تفرغ لهم، وحمل عليهم حملة شنعاء، فما ترك بيئة إلا وعزاها إليهم، وما خلى . ثم لو كان هذا لأجل أنهم من آل مروان أو لكونهم من سلالة أمية لكننا في غن عن الذب عنهم، والحماية لهم، ولكن كل ذنبهم أنهم العرب على صرافتهم () () مطلقا كما قال:

-
- في الطبعة الأولى: " . والمثبت من المنار.
 - في الطبعة الثانية: .
 - : خلوصهم من الشوائب، من صرف الشراب صروفا: لم يمزجه. ولم أجد "الصرافة" في كتب اللغة، وأخشى أن يكون من لغة الجرائد في زمن المؤلف.
 - في الط : " ، والمثبت من المنار.

" وتمتاز - أي دولة بني أمية - عن الدولة العباسية بأنها عربية " () .
" وجملة القول أن الدولة الأموية دولة عربية أساسها طلب السلطة والتغلب " () .

عصية العرب على المعجم:

أطال المؤلف وأطنب في إثبات هذه الدعوى، فذكر طرفا منه في الجزء الثاني مدسوسا (انظر
(ثم جعل له عنوانا خاصا في الجزء () :
فإن العرب كانوا يعاملونهم معاملة العبيد.
وإذا صلوا خلفهم في المسجد حسبوا ذلك تواضعا لله.
وكانوا يجرمون الموالي من الكن ، ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب، ولا يمشون في الصف

: :
: حمار أو كلب أو مولى.

فكان العربي يعد نفسه سيذا على غير العربي، ويرى أنه خلق للسيادة، وذاك للخدمة.
فتوهم العرب في أنفسهم الفضل على سائر الأمم حتى في أبدانهم وأمزجتهم، فكانوا يعتقدون
أنه لا تحمل في سن الستين إلا قرشية، وأن الفالغ لا يصيب أبدانهم.
ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء، فقالوا: لا يصلح للقضاء إلا عربي.
وحرموا منصب الخلافة على ابن الأمة ولو كان أبوه قرشيا ...

ولو كان أميرا، وكانت هي من أحقر القبائل.
وكان الأمويون في أيام معاوية يعدون الموالي
تكاثرهم على دولة العرب، فهم () .
اعلم أن للمؤلف في :
تعمد الكذب، كما سترى.

:
: الخيانة في ال

- : " . انظر الطبعة الثالثة، ج

- " " ساقط من الطبعة الثانية.

: الاستشهاد بمصادر غير موثقة () مثل كتب المحاضرات والفكاهات.

وهاك أمثلة من كل نوع منها:

* : "إذا صلوا خلفهم في المسجد حسبوا ذلك تواضعا لله، وكانوا يجرمون الموالي من الكذ

"

غير خافٍ على من له إلمام بتاريخ الفرس والعرب أن الفرس

وتزدرهم. ولما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه إلى كسرى العجم اشمأز. :

إلي ()! ° د إلى سعد بن أبي وقاص فاتح القادسية أن العرب مع شرب ألبان الإبل وأ
الضب بلغ بهم الحال إلى أن تمّ لك أيها الدهر الدائر ()! وكانت ملوك الحيرة تحت
إمرة ملوك العجم.

ثم لما شرف الله العرب بالإسلام انتصفت العرب من العجم واستنكفوا من سيادتهم عليهم،
وجاءت الشريعة الإسلامية ماحية لكل فخر ونخو صلى الله عليه وسلم في خطبته
الأخيرة في حجة الوداع أن: " ربي على العجمي، ولا للعجمي على العربي.
آدم" ().

وحينئذ ارتفع التمايز، وتساوى الناس. ولكن مع ذلك بقيت في بعض الناس من كلا الطرفين
حزازات كامنة في صدورهم، كانت سببا لحدوث حزين : يسمى أحدهما " " :
عديدة يطعن فيها على أنساب كل قبيلة من

- في المنار والطبعة الثانية: " "

- انظر: تاريخ الطبري، ج دلائل النبوة لأبي نعيم، ج

- لم أقف عليه في تاريخ الطبري وغيره، غير أن ما نقل ترجمة لبتين مشهورين وردا في بعض نسخ الشاهنامه لفردوسي
ضمن رسالة رستم إلى سعد بن أبي وقاص على هذا الوجه:

زشير ششر خوردين وسوسهار

كه تحت عجم را كند آرزي چرخ گ

انظر: شاهنامه فردوسي، تحقيق: آ. () م، ج ، وقد أثبتتها المحقق في الحاشية.
والراجع أنها من الأبيات المدسوسة في متن بعض النسخ المتأخرة من الشاهنامه.

- رويت أجزاء الخطبة في كتب الحديث والتاريخ والسيرة بألفاظ مختلفة، وجاء في مسند أحمد، ج :
" . ألا، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحر على

أسود، ولا أسود على أحر، إلا بالتقوى".

() . والثاني المتعصبون للعرب. وقد عقد العلامة ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد في حجج كلا الطرفين وأقوالهما () . ومعظم ما نقله المؤلف في إثبات عصبية العرب هي أقوال ذكرها العقد في هذا الباب، كما لوح به المؤلف في هامش الكتاب. وإذا تصفحت الكتب يظهر لك أن الأقوال التي نسبتها إلى العرب عموماً إنما هي أقوال شرذمة والعقد حينها ذكر هذه الأقوال صد :

. وأنت تعلم أن هذه العصبية ليست كافة العرب ولا أكثرها، بل ولا عشر معشارها، فإنك ستري أن هؤلاء أناس شذرة () مغمورون في الناس.

ثم إن المؤلف ما اقتنع بذلك، بل ربما نسب قول رجل معين معلوم الاسم إلى العقد: وكانوا يكرهون أن يصلوا خلف الموالي، وإذا صلوا خلفهم قالوا: تواضعاً لله؛ فإن صاحب العقد نسب هذا القول إلى نافع بن جبير () .

ي أكبر الخيل التي يرتكبها المؤلف لترويج باطله،

* : "فأدرك معاوية الخطر من تكاثرهم على دولة العرب، فهم () ."

: "كأنني أنظر إلى وثبة منهم على . فأنت ترى أن الرواية على تقدير صحتها ليس فيها أن يقتل شرطاً منهم، ولكن المؤلف زاد على العبارة، وقال:

* : "فالح لا يصيب أبدانهم" () .

استشهد في هذه الدعوة : طبقات الأطباء كما لوح في هامش .

على عبارة الطبقات لوقعت في أشد حيرة من اجترأ المؤلف على قلب الحكاية، وتغيير الرواية.

-
- انظر: وفيات الأعيان، ج . وأبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء صاحب مجاز القرآن . توفي بالبصرة سنة .
 - العقد الفريد، ج .
 - كذا في الطبعين. وفي المنار: "شرذمة". والشذرة جمع شازر. : نظر كنظر المبعوض المعادي.
 - العقد الفريد، ج .

الطبقات تحت ترجمة عيسى الطب (الراجح أنه نصراني) أن المهدي ضربه فالج، فحضر المتطبيون، ومنهم عيسى صاحب الترجمة، فقال: المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس يضربه فالج؟ لا والله، لا يضرب أحدا من هؤلاء ولا نسلهم فالج أبدا إلا أن يبذروا بذورهم في الروميات () .

() الطبقات

بعلة شبيهة بالفالج دعا : ما العلة عندك في عروض هذه العلة لي؟ قال يوسف: () " حفظ عن أمه قول عيسى أبي قريش () في المهدي وولده أنه الفالج إلا أن يبذروا بذورهم في الروميات، وأنه قد أمل أن يكون الذي به فالجا لا عارض الموت. : لا أعرف لإنكارك هذه العلة معنى، إذ كانت أمك التي قامت عنك دنباوندية، ودّ ج إلى قولي، صدقني، وأظهر السرور" () .

فأنت ترى أن الظن ببراءتهم من الفالج إنما كان مبناه حر أرض العرب، وليس له أدنى مساس بشرف النسل. ولو كان كما يتبادر إلى الذهن من عد أسماء آباء المهدي فهو يختص بعائلة النبي صلى الله عليه () .

() أرض الروم، ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له.

فانظر كيف كان مجرى الحكاية، فغيرها المؤلف، وارتكب لذلك خيانات تترى!

أنه عربي أم لا وغالب الظن أنه نصراني.

عربي، فهو رجل من حاشية الدولة يريد التزلف إلى الخليفة والتملق له، فهل يكون قوله قول العرب كافة؟ * : ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء، فقالوا:

-
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج .
 - هو أبو الحسن يوسف بن إبراهيم، كانت أمه ظئرا لإبراهيم بن المهدي، فعرف بابن الداية .
 - ألف كتابا في أخبار الأطباء، وهو من مصادر ابن أبي أصيبعة. انظر: معجم الأدباء ج المكافأة لابنه أبي جعفر .
 - السياق في الطبعة الأولى: "بالفالج ودعا يوسف .. هذه العلة بي علمت". والمثبت من المنار.
 - "أبو قريش" كنية عيسى الطبيب المذكور، وقد كناه بها المهدي.
 - عيون الأنباء، ج .
 - "ساقط من الطبعة الثانية."

إلا عربي: () وأسند هذه الرواية إلى ابن خلكان.

: أن الحجاج لما أسر سعيد بن جبير التابعي المشهور، وكان من الموالي، قال له

: أما جعلتك إماما للصلاة في الكوفة، ولم يكن () () في الكوفة إلا العرب؟ قال ابن جبير:

بلى () . ثم قال له الحجاج: أليس أني لما أردت أن أول () ضجج العرب، :

يصلح للقضاء إلا عربي؟ وقد ذكر الرواية ابن خلكان بطولها () . ولا يخفى عليك أن الكوفة لم يكن
ذاك فيها إلا العرب، وظاهر أن القضاء لا يصلح له إلا من كان عارفا بعوائد الأمة، مطلعاً على
خصائصهم وكيفية تعاملهم فيما بينهم، وسعيد بن جبير لم يكن من العرب.

من قضائه لأجل كونه من الموالي لاستنكفوا من إمامته للصلاة، فإن الإمامة أعظم شرفاً، وأرفع محلاً من
. وهذا أبو حنيفة كان من الموالي وأرادوا أن يولوه القضاء في عصر بني أمية فامتنع، ولم يرض

سه () .

* : " موا منصب الخلافة على ابن الأمة، ولو كان قرشياً "

نعم، ولكن لم يكن هذا للاستهانة به. :

الأولاد، فكان الناس يرون أن ذلك للاستهانة بهم. ولم يكن لذلك، ولكن لما كانوا
على يد ابن أم ولد () .

عبد الملك لزيد بن علي:

تصلح للخلافة؛ فقد رد () : إن إسماعيل كان ولد الجارية، وكان سيد البشر محمد من

مام زين العابدين - أرفع شأننا، وأعظم محلاً، وأطيب أرومة،

- وفيات الأعيان.

- في الطبعة الأولى والمنار: " "

- في الوفيات: " "

- وفيات الأعيان، ج ، وجاء في الطبعة الثانية بعد قوله: : "أما قدمت الكوفة وليس بها إلا عربي

: بلى. ثم قال له الحجاج: أما وليتك القضاء، فضجج أهل الكوفة "... "

خلكان أثبتتها مكان كلام المؤلف مع الإحالة على الوفيات، ج ، دون الإشارة إلى هذا التصرف.

- انظر: وفيات الأعيان، ج

- انظر الجزء الثاني من العقد الفريد، طبع مصر صفحة () . وانظر طبعة لجنة التأليف، ج

- في المنار: " "

الحمار، وهما ابنا أمة.

ولما فرغنا من إبداء شطر من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دأبه في تأليفا
 نحقق أصل المسألة، أي أن العجم والموالي هل كانوا أذلاء ساقطين مردولين، يعاملون معاملة العبيد في
 عصر بني أمية، كما يدعيه المؤلف؛ أو كانوا بمحل من الشرف والعزة يعترف لهم العرب بالفضل والسؤدد،
 ويوفى لهم أوفى قسط وأكمل حق.

انت عواصم الأقاليم وقواعدها في عصر بني أمية هي:
 والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان، وكان لكل هذه الأصقاع إمام يقودهم
 ويسود عليهم، وهذه أسماؤهم:

مكة المشرفة: عطاء بن أبي رباح، هو أستاذ الإمام أبي حنيفة.

: طاوس.

:

مصر: يزيد بن أبي حبيب.

:

: ضحاك بن مزاحم.

البصرة: الإمام الحسن البصري.

:

وكل هؤلاء غير إبراهيم النخعي كانوا من الموالى، وبعضهم أبناء الإماء. ومع كونهم أعجاما
 وكونهم أولاد الإماء، كانوا سادة الناس وقادتهم، تدعن لهم العرب، وتحتزمهم خلفاء بني أمية وولاءة

فأما عطاء بن أبي رباح، فمع كونه ابن سنديّة كان شيخ الحرم وإليه المرجع في الفتوى، وعليه
 ل في المسائل. قال ابن خلكان في ترجمته. " () : أذكرهم في زمان بني

يأمرون في الحج صائحا يصبح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح" () .

بمثل ذلك من غير رضى () .

وأما طاوس فلما قضى نجه بمكة ازدحم الناس في جنازته حتى تعذرت الصلاة عليه.

إبراهيم بن هشام إذ ذاك واليا على مكة، فاستعان بالشرطة. شى في جنازته عبد الله ابن الإمام حسن

() على عاتقه. وصلّى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي.

العلامة ابن خلكان في ترجمة طاوس ()، فهل تكون منزلة أعظم من ذلك؟

: العلماء :

() () () .

وأما يزيد بن أبي حبيب، فهو الذي أرسله عمر بن عبد العزيز ليفقه الناس في مصر، ويفتيهم في

. وهو المعلم الأول لهم كما صرح بذلك السيوطي في حسن المحاضرة () .

وأما ميمون بن مهران، فمع فضيلته وسيادته كان أميراً على الخرج في الجزيرة، كما صرح به

قتيبة في المعارف () .

أما حسن البصري، فحدث عن البحر ولا حرج، يذعن له الملوك والسادة والقواد، وعليه

() .

- وفيات الأعيان، ج

- الأمر أكبر من ذلك، كان عطاء يشدد في وعظ عبد الملك والوليد فيقبلان منه. راجع في

مجلد المنار التاسع وعظه لعبد الملك، وهو جالس معه على كرسيه، وترفعه عن الأخذ منه، وقول عبد الملك عند

: "هذا وأبيك الشرف"، ومخاطبته للوليد باسمه وتشديده في وعظه حتى أغمى عليه. (المنار).

- غير في الطبعة الثانية إلى سريره دون إشارة ود

- وفيات الأعيان، ج

- انظر: وفيات الأعيان، ج : العلماء أربعة:

بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام.

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج

- المعارف

- راجع في وما بعدها من مجلد المنار التاسع إغلاظ الحسن على الحجاج، وفي صفحة منه نصيحته الوالي

بني أمية على العراق. (المنار).

ذكر السخاوي في شرح ألفية الحديث () ()
: : : : :
() : طاوس. وكذلك سأل عن مصر
وخراسان والبصرة والكوفة. فأخذ الزهري يعد أسماء سادات هذه البلاد، وكلما سمى رجلاً كان
: هل هو عربي أم مولى؟ وكان يقول الزهري: مولى، إلى أن أتى على النخعي، وقال: إنه عربي.
: "الآن فرجت عني. والله ليسودن الموالي العرب، ويخطب لهم على المنابر، والعرب
()".

إن التابعين لهم أعلى محل في بن جبير،
الحجاج بن يوسف إمامة الصلاة في الكوفة، كما ذكره ابن خلكان في ترجمته (). والكوفة إذ ذاك مجمعة

الموالي؟

- القوسان وما بينهما نقلاً في الطبعة الثانية إلى الحاشية.
- ... له لم يرد في مصدر النقل، والظاهر أن المؤلف حكاه بالمعنى، واللفظ المذكور: " :
"
- كذا حكى المؤلف هذا الحوار بين الزهري وهشام اعتماداً على الطبعة الهندية المذكورة من فتح المغيـث :
" "... أ ظاهر بلا شك من الناسخ أو غيره.
- تعقيب السخاوي على القصة بقوله: " :
: "ونحوه قول عبد الملك للزهري في القصة الماضية...". وانظر: فتح المغيـث دار المنهاج
ج . وقد اتفقت المصادر على أن الحوار المذكور جرى بين الزهري وعبد الملك بن مروان، لا هشام بن

هذا والحكاية أخرجها الحاكم في معرفة علوم الحديث ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج
، بسنده عن الوليد بن محمد الموقري عن الزهري. ري مولى يزيد بن عبد الملك بن مروان كذبه يحيى
: روى عن الزهري أشياء موضوعة لم يروها الزهري قط. : متروك. انظر
ترجمته في تهذيب الكمال، ج . ونقل الذهبي الحكاية في سير أعلام النبلاء، ج
: مة منكرة، والوليد بن محمد وإو. () :

يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب وهو من الموالى) فيزيد كان ذلك الوقت شاباً لا يعرف بعد. والضحاك
فلا يدري الزهري من هو في العالم. وكذا مكحول يصغر عن ذلك.

- وفيات الأعيان، ج

وهذا سليمان الأعمش أستاذ الثوري كان عبدا عجميا، وكان بمنزلة من العز والشرف أنه كتب إليه الخليفة هشام بن عبد الملك أن يكتب له مناقب عثمان ومساوي علي أخذ كتاب هشام وألقمه
: قل لهشام: () .

وهذا حماد الراوية الذي دون المعلقات، وله المكانة الكبرى في الأدب والشعر وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيه. كما ذكره ابن خلكان () .
وهذا سالم بن عبد الله بن عمر كان ابن أمة.

يدعوه، فاعتذر، فدخل عليه هشام، ووصله بعشرة آلاف. ثم لما حج ورجع كان سالم إذ ذاك مريضا، فذهب . ولما توفي صلى عليه، وقال: لا أدري بأي الأمرين أنا أسر: بحجتي أم بصلاتي على سالم () .
ولو أخذنا في تعداد أمثال هذه الوقائع لطال الكلام ومل الناظرون. ويظهر مما مر عليك أن الموالي كانوا في أيام بني أمية بأعلى محل من الشرف والمكانة، وكانت العرب تدعن لهم، وتقدمهم، وتقندي بهم، وترفع شأنهم.
: إن الموالي وأبناء الإماء كانوا في عصر بني أمية بهم، ولا يقام لهم وزن، وكان العرب وبنو أمية يعاملونهم معاملة العبيد؟
النص القاطع في هذا البحث () :

أبو العباس المبرد في كامله ما هو قول فصل في هذا الباب لا يدع مجالاً للريب ومتسعا : " وإنا ذكرنا هذا لتقدم قريش في إكرام مواليتها. ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش ... ر رسول الله أسامة بن زيد، فبلغه أن قوما قد طعنوا في إ ... : ()
طعنتم في إمارته) لقد طعنتم في إمارة أبيه قبله، ولقد كان لها أهلا، وإن أسامة لها لأهل. :
كان زيد حيا ما استخلف رسول الله غيره. : لم فضلت أسامة علي وأنا وهو
: كان أبوه أحب إلى رسول الله من أبيك، وكان أحب إلى رسول الله منك. وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه لتميط عن أسامة أذى من مخاط أو لعاب، فكأنها تكهرته، فتولى منه

-
- وفيات الأعيان، ج .
 - وفيات الأعيان، ج .
 - العقد الفريد، ترجمة هشام بن عبد الملك. () . انظر طبعة لجنة التأليف، ج .
 - هذا الفصل لم ينشر في المنار، وقد أضيف إلى الطبعة الأولى بعد ما تمت طباعة فصول الكتة الكامل على طبعته الأوربية التي صدر عنها المؤلف. ولم نشر إلى أغلاط الطبعة الثانية، وأصلحنا ما وقع في الطبعة الأولى من خطأ في بعض المواضع.

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم...

وكان صلى الله عليه وسلم أدى إلى بني قريظة مكاتبة سلمان، فكان سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سلمان من أهل البيت. ويروى أن المهدي نظر إليه ويد عمارة بن حمزة في يده، فقال له رجل: من هذا يا أمير المؤمنين؟
: مارة بن حمزة. فلما ولي الرجل ذكر ذلك المهدي كالمزاح لعمارة، فقال له عمارة:
انتظرت أن تقول: ومولاي، فأنفض والله يدك من يدي. فتبسم أمير المؤمنين المهدي.

ولم يكن الإكرام للموالي في جفاة العرب. زعم الليثي () أنه كانت بين جعفر بن سليمان وبين
من منازعة، وبين يدي مسمع مولى له، له بهاء ورواء ولسن. فوجه جعفر إلى مسمع مولى له
، ومجلس مسمع حافل، فقال: إن أنصفتني والله جعفر أنصفته، وإن حضر حضرت معه، وإن عند
عن الحق عندت عنه، وإن وجه إلي مولى مثل هذا - وأوماً إلى مولى جعفر، فقال: - مولى مثل هذا، عاضاً
[ما إلى مولاه - مولى مثل هذا عاضاً لما يكره] ()

وضعه مولاه ذلك الذي تبهى بمثله العرب!

: الرجل من أبيه، والمولى من مواليه. وفي بعض الأحاديث: قى من فضل طينة

ق.

أن سلمان أخذ من بين يدي رسول الله صلى الله عليه

في فيه، فانتزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أبا عبد الله، إنما يحلُّ لك من هذا ما يحلُّ لنا.

أن رجلاً من موالي بني مازن، يقال له عبد الله بن سليمان - وكان من جلة الرجال - نازع
عمرو بن هذاب المازني، وهو في ذلك الوقت سيد بني تميم قاطبة، فظهر عليه المولى حتى أذن له في هدم
كلمة دار عمرو، فلما قلع من سط () : !

!

وقد كان في قريش من فيه جفوة ونبوة. كان نافع بن جبير - أحد بني نوفل بن عب

عليه بالجنابة سأل عنها، فإن قيل: قرشي قال: ! : عربي قال: ! : مولى

- ما بين المعقوفين ساقط من الطبعة الأوربية، ويسقطه اختل السياق.

- الساف في البناء: كل صف من الطين والآجر.

: اللهم هم عبادك، تأخذ منهم من شئت، وتدع من شئت!

أن ناسكا من بني المهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول في قصصه:

خاصة، وللموالي عامة. فأما العجم فهم عبيدك، والأمر إليك.

: سمعت أعرابيا يقول لآخر: أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة؟

: رى ذلك والله بالأعمال الصالحة. : !)

() .

هذه النصوص على أمور:

- أن إكرام الموالي من ديدن العرب عامة، وقريشها خاصة.
- لم يكن الإكرام للموالي وأكثرهم العجم عند جفاة العرب ونباتها ()، كما لم يكن الإكرام للعرب عند الشعوبية وأكثرهم العجم.
- كان نافع بن جبير وأمثاله من جفاة العرب، فلا يصح الاستدلال بأقوالهم على استحقر العرب للموالي والعجم، كما لا يسوغ الاستدلال بأقوال علان وأمثاله على ازدراء

مثالب بني أمية:

جعله المؤلف نصب عينه مرمي غايته هو أن الأمة العربية إذا بقيت على صرافتها ()، فهي جامعة لجميع أشتات الشر، أي الجور والقسوة والهمجية وسفك الدماء والفتك بالناس. ولكن لما كان لا يقدر على إظهار هذا المقصد تصرّحا احتال في ذلك، فغمض المذهب، وجعل الكلام طيب الظاهر. بأن قسم عصر الإسلام إلى ثلاثة أدوار، فمدح سياسة الخلفاء الراشدين، : "على أن سياسة الراشدين على الإجمال ليست مما يلائم طبيعة العمران أو تقتضيه سياسة الملك، وإنما هي خلافة دينية توفقت إلى رجال يندر اجتماعهم في عصر ... () يرون هذه السياسة تصلح لتدبير الممالك في غير ذلك العصر العجيب، وأن انقلاب تلك الخلافة الدينية إلى الملك السياسي لم يكن منه بد". ()

- وانظر نشرة الدكتور محمد أحمد الدالي، ج

- من النبوة، وقد سبق قول المراد: "وقد كان في قريش من فيه جفوة ونبوة".

- سبق التعليق على هذه الكلمة.

- في الطبعين: " " .

فأثبت بذلك أن سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها أسوة للناس، وأنها من مستثنيات الطبيعة. أما دور العباسيين فمدحه، ولكن لا لأجل أنه دولة عربية، بل لكونها فارسية مادة وقواما مؤتلفا ونظاما، وصرح بذلك فقال: "دعونا هذا العصر فارسيا مع أنه داخل في عصر الدولة العباسية، لأن تلك على كونها عربية من حيث خلفاؤها ولغتها وديانتها، فهي فارسية من حيث سياستها وإدارتها، لأن الفرس نصروها وأيدوها، ثم هم نظموا حكومتها، وأداروا شؤونها، ومنهم وزراءها وأمرؤها وكتابها وحجابه". ()

ثم أشار في غير موضع إلى أن الدولة العربية الساذجة إنما هي دولة بني أمية فقال:

"وجملة القول أن الدولة الأموية دولة عربية" () .

"وظل العرب في أيام بني أمية على بداوتهم وجفائهم، وكان خلفاؤها يرسلون أولادهم إلى البادية لإتقان اللغة واكتساب أساليب البدو وآدابهم" () .

ولما أثبت أن خلافة الراشدين لم تكن تلائم النظام الطبيعي، وأن دولة بني العباس دولة فارسية،

() على صرافتها () أخذ يعدد مثالب بني أمية تحت عنوانا

: : الاستهانة بالقرآن والحرمين. : الفتك والبطش. :

: خزانة الرؤوس وأتى في مطاوي هذه العنوانات من الإفك والاختلاق والتحريف

والتبديل بما تجاوز الحد، وخرج عن طور القياس.

والآن أذكر نبذا منها، وأكشف عن جليلة حالها.

الاستهانة بالقرآن والحرمين:

: "أما عبد الملك فكان يرى الشدة ويجاهر بطلب التغلب بالقوة

... صرح باستهانة الدين منذ ولي الخلافة ... ذكروا أنه لما جاؤوه بخبر

لمصحف في حجره، فأطبقه، وقال: هذا آخر العهد بك - أو - هذا فراق بيني وبينك!

فلا غرو بعد ذلك إذا أباح لعامله الحجاج أن يضرب الكعبة بالمنجنيق، وأن يقتل ابن الزبير، ويحتز رأسه

... وظلوا يقتلون الناس فيها ثلاثا، وهدموا الكعبة وهي بيت الله ()

- في الطبعين: "، والمثبت من المنار.

- انظر ما علقنا من قبل على الكلمة.

- لم أجد قوله: " في طبعة الكتاب التي صدرت بتعليقات الدكتور حسين مؤنس، ج

وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها" () .

الحكاية على الإجمال: أن ابن الزبير ادعى الخلافة، فملك الحرمين والعراق، وكاد يغلب على الشام، وكان أمره كل يوم في ازديار، وبإزائه بنو أمية في الشام. فلما تولى عبد الملك الخلافة أرسل الحجاج إلى ابن الزبير، فحاصره. ولذا ابن الزبير بمكة، فنصب الحجاج المنجنيق على الزيادة التي كان زادها ابن الزبير (كما يجيء تفصيله).

يعرف كل من له أدنى إلمام بالتاريخ أن الحجاج ما أراد إلقاء قتال ابن الزبير، ولكونه لا نذا بالكعبة اضطر إلى نصب المنجنيق على الكعبة، ولكن مع ذلك تحرز عن رمي الكعبة، فحول وجهها إلى زيادة ابن الزبير. فانظر كيف غير المؤلف مجرى الحكاية، فصدر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمين، ثم أن الملك قال للقرآن: " وأنه أباح للحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق، وهدم الكعبة، وإيقاد النيران بين أستارها. فالناظر في عبارته يتوهم، بل يستيقن أن عبد الملك تفرغ من بدء الأمر للاستهانة بالدين والقرآن والحرمين، وجعل الاستهانة . وقتل ابن الزبير كان إما

أما تفصيل الواقعة وتعيين بادئ الظلم () فهو أن ابن الزبير لما استولى على الحرمين أخرج أمية من المدينة، فخرج مروان وابنه عبد الملك، وهو عليل مجدر، فاستولى على الشام. ابن الزبير أفعال نقموا عليه لأجلها. : أنه تحامل على بني هاشم وأظهر لهم العداوة والبغضاء () حتى إنه ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة، ولما سأله عن هذا قال: يرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به () . ومع أن هدمها لم يكن إلا لرميها وإصلاحها، ولكن لم يكن هذا مألوفاً للناس. ولذلك تحرز النبي عليه السلام عن إدخال الحطيم في الكعبة () . فاتخذ الحجاج هذه الأمور وسيلة لإغراء الناس على ابن الزبير كان مضطراً إلى هذه الأعمال، ولكن من شر العدل أن نوفي كل واحد قسطه من الحق. فإذا اعتذرنا لابن الزبير، فعبد الملك أحق منه بالاعتذار، فإن ابن الزبير هو البادئ، والبادئ أظلم.

-
- كذا في الطبعة الأولى والمنار، وهو صواب محض. "بأدئ بالظلم" كما في الطبعة الثانية تبعاً لما في جدول الخطأ والصواب الملحق بالطبعة الأولى.
 - البيعقوبي طبع أوروبا صفحة من الجزء الثاني () .
 - الجزء الثاني من البيعقوبي صفحة () .
 - يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها. () . () .

ويظهر من هذا أن عبد الملك ما أراد لخط من شأن الكعبة ومس شرفها، ولكن اضطر إلى قتال ابن الزبير، فوقع ما وقع عرضاً غير . ولذلك لما نصب الحجاج المناجيق على الكعبة حولها عن الكعبة، وجعل الغرض الزيادة التي كان زادها ابن الزبير. صرح بذلك العلامة البشاري في أحسن التقاسيم ().

ثم إن من مسائل الفقه أن البغاة إذا تحصنوا بالكعبة لا يمنع هذا عن قتالهم. صلى الله عليه وسلم في وقعة الفتح بقتل أحدهم وهو متعلق بأستار الكعبة (). وابن الزبير كان عند أهل

ولو كان أراد الحجاج الاستهانة بالحرم، فما كان مراده من رمه وإصلاحه بعد قتل ابن الزبير؟ ومعلوم أن تعمير الحجاج هو اليوم كعبة ا

أما قول عبد الملك للقرآن: هذا فراق بيني وبينك؛ فحقيقته أن عبد الملك كان قبل الخلافة ناسكاً منقطعاً إلى العبادة لا يشتغل بشيء من الدنيا. : ما رأيت في المدينة أشد نسكاً وعبادة من () . إلى من نرجع في الفتوى بعدك؟ قال:

: الفقهاء في المدينة سبعة () . () :
(لي) . ذكر كل هذه الأقوال العلامة السيوطي في تاريخه للخلفاء () .

-
- انظر :
 - () () من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. :
 - نص قول نافع في تاريخ الخلفاء: "لقد رأيت المدينة وما بها شاباً أشد تشميراً ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب".
 - في الطبعين والمنار: " ."
 - في تاريخ الخلفاء: : سعيد بن المسيب، وعبد الملك بن مروان، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب. وفي سير أعلام النبلاء، ج : " : : : ."
 - " . نعم، قال أبو الزناد في رواية أخرى عنه: "كان ممن أدركت من فقهاء المدينة وعلمائهم ممن يرضى وينتهي إلى قوله: "...، فذكر الفقهاء السبعة، ولكن لم يعد منهم عبد الملك بن مروان، انظر: سير أعلام النبلاء، ج
 - انظر: تاريخ الخلفاء

فلما جاءت الخلافة وهو يقرأ القرآن تصور خطارة الأمر () مثل هذا العبء لا يمكن تحمله إلا المنقطع إليه، فقال تحسرا: هذا آخر العهد بك! أي الآن لا يمكن الانقطاع إلى العبادة وقراءة القرآن كما كان دأبي أولا. وليس هذا على سبيل الاستهانة بالدين مطلقا، فإننا نرى اش بالفرائض والسنن فيما بعد، فهو يصوم وصلي ويحج.

قال اليعقوبي في تاريخه: وأقام الحج للناس في ولايته سنة الحجاج بن يوسف، وسنة الحجاج أيضا. أبان بن عثمان بن عفان، وسنة سليمان بن عبد الملك (وسرد باقي السنوات فتركناها) () . وعبد الملك هو الذي كسا الكعبة الديباج () .
: "ويحتز رأسه " () .

استند المؤلف في العقد الفريد لابن عبد ربه، والاستناد بمثل هذه الكتب في مثل () المؤلف المعتادة له، فأنت تعلم أن حادثة قتل ابن الزبير مذكورة في الطبري () ابن الأثير () وغيرها من المصادر التاريخية المتداولة الموثوق بها، وعليها المع المرجع؛ لكن لما لم تكن كيفية الحادثة في هذه الكتب وفق هوى المؤلف أعرض عن هذه كلها، وتشبث بكتاب هو في عداد المحاضرات. وإنما يرجع إلى أمثاله إذا لم يكن في الباب مستند غيره، () لم يخالف الأصول.

والمذكور في الطبري وغيره أن عبد الله بن الزبير أصيب في الحجون وقتل هناك.

-
- كذا في الطبعين والمنار " "
 - تاريخ اليعقوبي طبعة ليدن، ج .
 - لم يشر إلى ذلك اليعقوبي، بل ذكر ج في ترجمة معاوية رضي الله عنه أنه كان من أول من كسا الكعبة الديباج واشترى لها العبيد. وفي أخبار مكة للأزرقي، ج أن معاوية كساها الديباج مع القباطي.
 - اختلغوا في أول من كساها الديباج فقط، فقيل: ابن الزبير، وقيل: . وفي رواية ذكر الحجاج أيضا. انظر: أخبار مكة، ج شفاء الغرام للفاسي، ج .
 - " " " " " " . وقد سبق نحوه في أول الكتاب.
 - تاريخ الطبري، ج .
 - الكامل، ج .
 - في الطبعين: "ومتى ما لم"، ويجب حذف " " " " " " والمنتب من المنار.

() .

:"

قدمنا أن الكعبة لم تكن غرضاً للحجاج، وإنما كان نصب المناجيق على الزيادة التي زادها

الزبير، ولما كانت متصلة بالكعبة نالت الأحجار من الكعبة، ولكن بعد م ()

فعله الحجاج كان أمره () . والدم كما نص عليه ابن الأثير () .

كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شيء واحد؟

أما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد، وأنه أمر بالمصحف فعلقوه، وأخذ القوس والنبيل، وجعل

:

فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا لا قيت ربك يومَ حشر :

الأغاني () . ومعلوم أن صاحب الأغاني

عبي، ديانتته سنآن بني أمية، والحظ منهم. () فأثر التوليد ظاهر عليها، ومن له أدنى مسكة بالأدب يشهد أن نسجها غير نسج الأوائل. فأما جهابذة المحدثين المرجوع إليهم في نقد الروايات والذين قولهم فصل في هذا الباب، فيجحدون أمثال هذه الروايات المختل . قال العلامة الذهبي - وهو رأس "لم :

" (تاريخ الخلفاء للسيوطي ترجمة الوليد) () .

ثم إن هناك أمراً آخر، وهو أن الناقد على الوليد وقاتله هو خليفة أموي، فكيف ينسب استهانة

الدين إلى خلفاء بني أمية عامتهم؟

الأغاني الاستهانة بالقرآن، قد ذكر له صاحب العقد ما ينبئ

-
- انظر: تاريخ الطبري، ج
 - الكامل لابن الأثير، ج
 - : " يؤدي خلاف المقصود، فإن معناه: تيباً واستقام.
 - في المنار: "ولكن كان أول ما فعله الحجاج بعد ما استتب القتال أمره".
 - الكامل، ج
 - انظر: طبعة دار الثقافة، ج
 - المنار: " "
 - تاريخ الخلفاء . وقول الذهبي في تاريخ الإسلام له، ج

عن تعظيمه للقرآن، وتخييمه شأنه، وحث الناس على حفظه وتعهده. العقد () : " حة . : يا أمير المؤمنين مستحقاً في م : قرأت القرآن؟ قال : . : فاستقرأه عشرا من الأنفال وعشرا من براءة، فقرأ. : نعم، نقضي دينك، وأنت أهل لذلك". ترى أن الوليد يعد من لا يقرأ القرآن علجا، والمؤلف يعد الوليد علجا!

فأما ما ذكره المؤلف من أقوال الحجاج وخالد القسري، وأنها كانا يفضلان الخلافة على النبوة، فمع أن أكثر هذه الأقوال مأخوذ من العقد الفريد من كتب المحاضرات لسنا نحتاج إلى الذب عن الحجاج وخالد، فإنهما من أشرار الأمة حقا. ولكن كم لنا من أمثال هؤلاء الملاحدة في الدولة العباسية، () ابا رد فيه على القرآن، وسماه بالدامغ () . فإذا كان () غير مسؤولين عن أوزار هؤلاء عند المؤلف، فكذلك بنو أمية. يرتضيان بسوء أعمال الحجاج، فمعلوم أن غيرهما من بني أمية كانوا ناقمين : "هل الحجاج استقر في جنهم أو يهوي إلى الآن" () . ولما وصل إلى () هشام أن خالدا القسري () وسجنه، كما ذكره ابن خلكان () . () خص رجلا أو رجلين من بني أمية بالمطاعن لاعترفنا به، ولكن من سوء مكيدة المؤلف أنه يجعل الفرد جماعة، والفرد توءما، والنادر عامما، والشاذ مطردا!

-
- الجزء الثاني صفحة . طبعة لجنة التأليف والترجمة، ج .
 - سيأتي الكلام عليهم.
 - انظر: المنتظم لابن الجوزي، ج ، وقد نقض هذا الكتاب أبو علي الجبائي.
 - في المنار والطبعة الثانية:
 - انظر: العقد الفريد، ج ، وفيه أن القائل سليمان بن عبد الملك، لا هشام.
 - "إلى" ساقط من الطبعة الأولى.
 - في المنار: " " .
 - وفيات الأعيان، ج .
 - في الطبعة الأولى: " " وهو سهو، فإن جوابها: " عترفنا" . وكذا في الطبعة الثانية. والمثبت من المنار.

جور بني أمية:

سمعنا بمظالم بختنصر، وأحطنا علما بشنائع چگ خان، واطلعنا على ما جتته أيدي التتر، فوالله
- لو صدق المؤلف - هم ما كانوا أشد قسوة، ولا أظفح أعمالا، ولا أسفك دماء، ولا أجمع لأنواع ا
!

: حتى في أيام معاوية فإنه أرسل بسر بن أرطاة و أرسل معه جيشا، ويقال: ()
(أوصاهم أن يسيروا في الأرض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي، ولا يكفوا أيديهم عن
() .

ة الأمر، لا بد من تقديم مقدمة، وهي أن المؤلف مدح بني العباس
عل أعمالهم مناطا للعدل ودلالة على الرفق، فقال: "ولا غرابة فيما تقدم من عمران البلاد في ظل الدولة
العباسية فإن العدالة توطد دعائم الأمن، وإذا أمن الناس على أرواحهم وحقوقهم تفرغوا للعمل، فتعمر
لبلاد، ويرفه أهلها، ويكثر خراجها (الجزء الثاني صفحة) .

وعلى هذا، فإذا () وجدنا بني أمية معادلين لبني العباس في جميع أعمالهم سواء بسواء كان
اختصاصهم بالذم دون بني العباس جورا فاحشا وميلا عظيما. ثم إن هناك أمرا آخر وهو أن المؤرخين
بأسرهم كانوا في عصر بني العباس، ومن المعلوم أنه لم يكن يستطيع أحد أن يذكر محاسن بني أمية في دولة
. فإذا صدر من أحد شيء من ذلك فلتة كان يقاسي قائلها أنواعا من الهتك والإيذاء ووخامة
. وكم لنا من أمثال هذه في أسفار التاريخ!

أصدق الناس
هم على إظهار الحق، ما كان يمنهم عن بيان الحقيقة سلطة ملك ولا مهابة جائر؛ ولكن مع
ذلك فرق بين تعمد الكذب والسكوت عن الحق. ولذلك نعتقد أنهم ما قالوا شيئا افتراء على بني أمية،
: إنهم كثيرا ما سكتوا عن محاسنهم، فذلك شيء .

أما بنو العباس فكانوا في عصرهم ولاة البلاد، وملاك رقاب الناس، رضاهم الحياة، وسخطهم
. فالوقية فيهم والأخذ عليهم ما كان يمكن إلا بعد مخاطرة النفس، والافتحام في الهلاك، ونصب

رجعنا إلى قول المؤلف:

بسر بن أرطاة إلى شيعة علي من أشهر الوقائع المذكورة في سائر كتب التواريخ، وليس في أحد منها قتل

النساء والصبيان، بل فيها ما يخالف هذه الرواية.

قال المؤرخ اليعقوبي: "وجه معاوية بسر بن أرطاة - وقيل: ابن أبي

عامر بن لؤي، في ثلاثة آلاف رجل. : سر حتى تمر بالمدينة فاطرد أهلها، وأخف من مررت بها،

وانهب مال () () من أصبت له مالا، ممن لم يكن دخل في طاعتنا.

لهم عندك ولا تعرض فيهما لأحد وأرهب الناس فيما بين مكة

... ثم امض حتى تأتي صنعاء، فإن لنا بها شيعة، وقد جاءني كتابهم. فخرج بسر، فجعل لا يمر

" (اليعقوبي طبع أوربا صفحة من الجزء الثاني).

فترى في هذه العبارة أنه لم يكن هناك إلا تخويف وتهديد وإيهاام.

التاريخية الموثوق بها لا يوجد فيها ما يوافق هواه جنح إلى الأغاني

المظنون خلاف ذلك لحلمه ودهائه، والظن أن معاوية أطلق يد بسر، ولم

. وكان بسر سفاكا للدماء، فلم يستثن طفلا ولا شيخا.

: الأغاني من كتب المحاضرات، فإذا كان الأمر هيئا وكان ()

تسلُّا من كد العمل إلى استراحة، فلا بأس به وبأمثاله. أما إذا كان الأمر ذا بال، وكانت الواقعة معترك

() لأساس فأمثال هذه الكتب لا يؤذن لها،

(الأغاني) شيعي، إذا جاءه شيء مما

() ارتياحا إلى قبوله ()، ولو كان من أوهم الأحاديث وأكذبها!

عم، إن بسر بن أرطاة قتل طفلين، ولكن القتل لم يتجاوز الاثنتين ()

-
- من تاريخ اليعقوبي.
 - " " ساقط من المنار.
 - في المنار: " .. "، وكذا كان في الطبعة الأولى، ثم صحح في جدول الخطأ والصواب.
 - في المنار: "في نفسه".
 - في الطبعة الثانية: " "
 - في هذا النفي بل فيما أورده الناقد في هذه المسألة نظر، فقد نقل الحافظ في الإصابة عن ابن يونس أن معاوية وجه بسرا إلى اليمن والحجاز سنة أربعين "وأمره أن ينظر من كان في طاعة علي، فيوقع بهم، ففعل".
 - وأهل المحاضرة. وقد أشار في "الإصابة" إلى أنه لا ينبغي التشاغل بأخبار بسر الشهيرة في الفتن، أي لما قيل . وهل يعقل أن يكون إيقاعه بالمطبعين لعلي قاصرا على قتله طفلي ابن عباس رضي الله عنه؟ (المنار).

: "وكان بسر سفاكا للدماء، فلم يستثن طفلا ولا شيخا!"

: "فإذا كان هذا حال العمال في أيام معاوية مع حلمه وطول أناته، فكيف في أيام

. ل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبورا، ولو كانوا

() " () .

نعم قتل الحجاج مئة ألف أو مائتين () أبي مسلم الخراساني القائم

بدعوة بني العباس، المؤسس لدولتهم فإنه قتل صبورا بدون حرب ما يبلغ عدده () ستائة ألف؟

اعترف به المؤلف في هذا التأليف نفسه () . والمؤلف يحتال لذلك

() ، ومحسبه من طبيعة السياسة فالحجاج أحق بالعدر، وأجدر بالعمو؛ فإن الحجاج عربي قح طبعه

. أما أبو مسلم فعجبي تربي في حجر التمدن، وغذي بلبان الظرف ودمائة الأخلاق.

: () (أي من الحجاج)

غير () . وأين هذا من غدر المنصور العباسي بأبي مسلم الذي هو رب الدولة

. ولولاه لما قامت للعباسيين قائمة، ولا كان لهم ذكر! منصور بابن هبيرة.

وغاية ما يقضى منه العجب أن المؤلف بعد ما ذكر فتك بني أمية : "

() في تأييد سلطانهم " : صارت سنة في من ملك بعدهم من بني العباس

وغيرهم. وأنت تعلم أن المؤلف يرى ساحة العباسية من الجور والظلم ف

تناقض في القول، أو أراد بهم نفعاً، فضرهم من حيث لا يعلم؟ لا والله، لا هذا ولا ذلك، بل هي من مكابد

المؤلف التي لا يهتدي إليها إلا فطن خبير بطوية الرجل وكامن ضغنه.

جور العمال:

ذكر المؤلف تحت هذا العنوان أنواعا من الجور والشدة الصادر من عما

- سقط هذا العدد من الطبعة الثانية.

- في المنار: " ، وكذا كان في الطبعة الأولى ثم صحح.

- " ساقط من المنار.

- : يتلطف في التماس العذر له. وفي المنار والطبعة الثانية: " .

- في المنار: " .

- في الطبعتين والمنار: . . انظر: في : الكامل لابن الأثير،

قال يذكر جور العمال: "وإذا أتى أحدهم بالدرهم ليؤديها في خراجه يقتطع الجابي منها طائفة،
: ها وصرفها" (الجزء الثاني صفحة ، واستند في الهامش بكتاب (الخراج لأبي
(.

أيها الفاضل الم ! أليس لك وازع من نفسك؟ أليس لك رادع من ديانتك؟ أتجتري على مثل
هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش جهرة؟ فإن القاضي أبا يوسف ما تكلم في شأن عمال بني أمية بنت
شفة، وإنما ذكر عن عمال هارون الرشيد وإساءتهم العمل في جباية الخراج. كتاب الخراج لأبي يوسف
يدينا، وقد طبع في مصر، وتداولته الأيدي، وتناقلته الألسن.

: "وفي كلام القاضي أبي يوسف في عرض وصيته للرشيد بشأن عمال الخراج ما يبين
الطرق التي كان أولئك الصغار يجمعون الأموال بها. : بلغني أنه قد يكون في حاشية العامل أو الوالي
جماعة، منهم من له ليسوا بأبرار ولا صالحين، يستعين بهم، ويوجههم
في أعماله، يقتضي () . فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه، ولا ينصفون من يعاملونه.
إنما مذهبهم أخذ شيء من الخراج كان أو من أموال الرعية. () إنهم يأخذون ذلك كله فيما بلغني
بالعسف والظلم والتعدي () ... وقيمون أهل الخراج في الشمس، ويضربونهم الضرب الشديد،
ويلقون عليهم الجرار، ويقيدونهم بما يمنعهم عن الصلاة. وهذا عظيم عند الله، شنيع في الإسلام ()
الثاني صفحة مستندا إلى كتاب الخراج صفحة () .

الله أكبر! بأعظم من هذا التدليس والتليس؟ يشتكي القاضي أبو يوسف من
عمال هارون الرشيد، ويرفع القضية إليه، ويبين ما بلغه مما يرتكب عماله في أخذ الأموال من الرعايا.
فيأخذ المؤلف أقواله، وينقلها من حيث إنها هي الطرق التي كان عمال بني أمية يجمعون الأموال بها!
كتاب الخراج بأيدينا، قرأناه، وقلبناه ظهرا لبطن، وكررنا فيه النظر لا كرة أو كرتين ()
متوالية متتابعة، فما وجدنا فيه كلمة في شأن عمال بني أمية. وإنما قال ما قال أبو يوسف يعظ الرشيد بما بلغه

- في المنار: "إلى كتاب".

- كذا في الطبعة الأولى وفي كتاب الخراج. وفي المنار والطبعة الثانية "يقضي".

- " " ساقطة من الطبعة الثانية.

- " ... " لم يرد في الطبعة الأولى.

- في المنار: " " .

عن عماله، إلى أن خاطبه بقوله: ت إلى الله عزو جل يا أمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعتك في الشهر أو الشهرين مجلسا واحدا، تسمع فيه من المظلوم، وتنكر على الظالم احتجب عن حوائج رعيته. ولعلك لا تجلس إلا مجلسا أو مجلسين حتى يسير ذلك في الأمصار ()، فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه، فلا يجترئ على الظلم... متى علم العمال والولاة أنك تجلس للنظر في أمور الناس يوما في السنة، ليس يوما في الشهر، تناهوا بإذن الله عن الظلم، وأنصفوا من أنفسهم كتاب الخراج صفحة ().

لا فض فوك يا أبا يوسف! فقد صدعت بالحق، وأمرت بالمعروف، واجترأت على

المنكر، وأخذت على ملك جبار كهارون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة.

وما أكبر جرأتك أيها الفاضل ()! إنك تتبعت سيرة عمال بني أمية، وبالغت في الإمعان، وكابدت في ذلك محنة التقضي، فأعوزك كل هذا. وما وجدت في أعمالهم شيئا من مثل تلك الفضائح، فعمدت إلى سيرة عمال الرشيد، وأوهمت الناظرين أنها سيرة عمال بني أمية.

: "وكان العمال لا يرون () حرجا في ابتزاز الأموال من أهل البلاد التي فتحونا

عنوة، لاعتقادهم أنها فيء لهم، كما تقدم" ().

: " " " في الجزء الثاني، وهذا نصه: "وكان من جملة نتائج

: أنهم اعتبروا أهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رزقا

حلالا لهم. يدل على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق: "إلا بستان قريش، ما شئنا

"

: "إنها أنتم خزائنة لنا، إن كثر علينا كثرنا عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم" ()

الثاني صفحة ().

تشبث المؤلف بهذه الأقوال في غير موضع مستدلا على أن العرب وبني أمية كانوا يتصرفون في

أموال الناس () كيفما شاؤوا ظناً منهم أن أموالهم وأعراضهم أبيحت لهم مطلقا.

: أنه لما فتحت البلاد في خلافة الفاروق تقدم بعض الصحابة كعبد الرحمن بن

- في الطبعة الثانية: " ."

- في الطبعة الثانية: " ."

- في الطبعتين: "على أموال الناس".

عوف وبلال وغيرهما، وقالوا: سومة بيننا كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير، غير هذا، فقام النزاع حتى وفق إلى الاستناد بنص القرآن، فسكتوا ورضوا. مذكورة بتفاصيلها في كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف ().

كان الخراج أو الجزية شيئاً مسمى معيناً ما كانوا يرون الزيادة عليه، وإن أكثرت الأرض خيراتها، وزادت غلاتها. وفتح بعضها عنوة، فكان الخراج أو الجزية عليها بقدر النقص والزيادة. " : كثر علينا كثرتنا عليكم وإن خفف عنا خففنا عنكم". وقد أشار إلى ذلك المقرئ في تاريخه السيوطي في حسن المحاضرة ().

سعيد بن العاص الذي استند إليه المؤلف، فتحرير للكلام عن موضعه، على جاري عاداته، فإن المؤلف نقل هذه الرواية من الأغاني : " أن أحدا مدح السواد عند بن العاص وبالغ فيه، فقال بعضهم: نعم ويا ليته كان لأمرنا! فقال بعض من حضر: لا تعط أرضنا للأمر". : ولو شاء الأمير لأخذه. " : قريش إلخ" : ! .

فأنت ترى أن النزاع بين الجند وأمير البلد هنا هو النزاع الذي كان بين بعض الصحابة وعمر في ذلك للمؤلف؟ فإن سعيد بن العاص قال ما قال ردا على الجند بدعوى أن . وإنما

الخلافه على زعمهم لقريش خاصة.

: "فكان الخلفاء يكتبون إلى عمالهم بجمع الأموال وحشدها، والعمال يجمعونها. فقد كتب معاوية إلى زياد: اصطف لي الصفراء والبيضاء. "فكتب زياد إلى عماله بذلك، ().

الرواية في الهامش على العقد الفريد (.

ننقل مأخذ هذه الرواية كما سرح به المؤلف في الهامش، لترى خيانات المؤلف واحدة بعد العقد: "ونظير هذا القول ما رواه الأعمش عن الشعبي أن زيادا كتب إلى الحكم بن

() الغفاري - وكان على الصائفة () أن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفى له الصم
سم بين الناس ذهباً ولا فضة. : إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين"
() " في الناس، فقسم لهم ما اجتمع من الفيء" (العقد الفريد
() .
فانظر أولاً: أنه ليس في هذه الرواية أن معاوية كتب إلى زياد، بل إن زيادا كتب إلى الحكم أن أمير
المؤمنين كتب إلي إلخ. ولعل زيادا كذب في ذلك، أو فهم غير ما أراد معاوية بقوله.
: أن المؤلف حذف كل ما قال الشعبي وما عمل به من تقسيم الفيء، لدلالته على أن في عمال
بني أمية من لا يمنعه عن الصدع بالحق وأ :

ثالثاً: أنه ليس في هذه العبارة ما يستدل به على استثثار معاوية بالمال لنفسه، فإن مراده أن العمال
ليس لهم تقسيم الفيء، بل الأمر موكول إلى الخليفة. فعلى العامل أن يجمع الأموال، ويرسلها إلى الخليفة
: "فكان العمال يبذلون الجهد في جمع الأموال بأية وسيلة كانت.

والخراج، والزكاة، والصدقة، والعشور. وأهمها في أول الإسلام: الجزية، لكثرة أهل الذمة، فكان عمال بني
أمية يشددون في تحصيلها. مدخلون في الإسلام، فلم يكن ذلك لينجيهم منها، لأن العمال
عدوا إسلامهم حيلة للفرار من الجزية، وليس رغبة في الإسلام، فطال بهم بالجزية بعد إسلامهم.
من فعل ذلك الحجاج بن يوسف، واقتدى به غيره من عمال بني أمية في إفريقية وخراسان وما وراء
فارتد الناس عن الإسلام وهم يودون البقاء فيه وخصوصاً أهل خراسان وما وراء النهر، فإنهم ظلوا إلى
أواخر أيام بني أمية لا يمنعونهم عن الإسلام إلا ظلم العمال بطلب الجزية منهم بعد إسلامهم" ()

-
- في المنار " :
 - : الغزوة في الصيف. وفي المنار " : " . وكذا في أكثر طبقات العقد كما يظهر من تعليق
 - كذا في المنار. ولم يرد " في الطبعتين.
 - في الطبعة الأولى: " . وانظر طبعة لجنة التأليف، ج
 - في المنار لثانية: " ، والصواب ما أثبت من الطبعة الأولى.

ذكر المؤلف هذه الواقعة، أي أخذ الجزية بعد الإسلام، في غير موض
أة على القلب، يترأى للناظر فيها أن الناس أحيطوا من كل جانب جورا
. فإذا بقوا على الفكر يعانون من الشدة ما يلجئهم إلى الإسلام، وإذا أسلموا فالجزية باقية على
حالتها. ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾ (آلاية:).

تحقيق مسألة الجزية في الإسلام ():

- اعلم أن الجزية ليست إلا بدلا عسكريا، فمن يذب عن بيضة الملك بنفسه فهو غير مأخوذ بها.
() :

وأول من سن الجزية وجعل لها : كسرى أنوشروان، كما ذكره ابن الأثير، وصرح بأنها هي الوضائع
التي اقتدى بها عمر بن الخطاب ().

وكم تجدد في البلاذري الطبري وغيرهما أن أقواما من النصارى في عصر عمر بن الخطاب
قاموا بالدفاع عن الملك أو دخلوا في الجند سقطت عنهم الجزية ().
() ()

وجملة القول أن الجزية لم تكن في الأصل شيئا يحد بين الكفر والإسلام، ولكن لما كان غالب
الحال أن أهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود كانوا أصحاب حرث وزرع وعمالا في الديوان،
مطالبين بالجزية؛ والمسلم ()

يمكن له الاعتزال عن الحرب، فإنه مضطر إلى الذب عن بلاد الإسلام طائعا أو مكرها
كأنها حد فاصل بين الرئيس والمرؤوس، ثم بين المسلم وغير المسلم.
- ولما لم ينفصل الأمر بته، وبقي للاجتهاد موضع ومتسع، كان بعض العمال يضرب الجزية على
حديثي العهد بالإسلام.

-
- المنار.
 - في المنار: " "
 - الكامل، ج .
 - انظر: رسالة الجزية في هذا المجموع.
 - في الطبعتين: عن الجزية.
 - فتوح البلدان تاريخ الطبري، ج .
 - في المنار: " وكذا في الطبعة الثانية، بإسقاط الواو، فاختل السياق.

- ولكن مع هذا لم يتفق ذلك في مدى ()
الفحص والتقصي، وإمرار النظر، والكد في البحث والتنقيب. ومع ذلك فكلما () وقع مثل هذا لم يكن
() . فيما أن تكون الأمة هي التي تقيم النكير على العامل، أو يصل الخبر إلى الخليفة، فيرد
ويمنعه عن الوقوع في مثله آتيا.

لما كتب الحجاج إلى البصرة برد من أسلم من أهل القرى إلى مساكنهم وضرب
الجزية عليهم ضج القراء، وخرجوا يبكون مع البكاء من أهل القرى، وبايعوا عبد الرحمن بن الأشعث
مشمزين من عمل الحجاج، منكرين عليه، كما هو مشروح في تاريخ الكامل لابن الأثير () .
وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمي بصنيع الحجاج كتب إليه عمر بن عبد العزيز يأمره بإسقاط
. والواقعة المذكورة في حوادث سنة في تاريخ الكامل () .

وكذلك لما فعل يزيد بن أبي مسلم في إفريقية سنة () الناس عليه، وقتلوه،
وكتبوا إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب إليهم: إني ما كنت مستحسنًا عمل يزيد. والقصة المذكورة في
الكامل () .

وكان آخر ما وقع مثل ذلك () شرس في خراسان، فأورث ثورة، واشترك العرب
مع الثائرين، ونصروهم () .

يثبت عن أحد منهم مثل ذلك. وإنما كان أراد عبد الملك وضع الجزية
على من أسلم من أهل الذمة فكلّم ابن حجيرة ()، فترك. والقصة المذكورة في المقرئ

-
- في المنار: " "
 - في الطبعة الثانية: "كلما".
 - " " ساقط من الطبعة الثانية.
 - الكامل، ج .
 - الكامل، ج .
 - في المنار: " " . وكذا كان في الطبعة الأولى، ثم صحح في جدول .
 - الكامل، ج .
 - في المنار: "من مثل ذلك".
 - انظر: تاريخ الطبري، ج الكامل، ج .
 - في الطبعين والمنار: " " . وهو عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني، ولاء عبد العزيز بن مروان قضاء مصر وبيت المال. توفي سنة . انظر: تهذيب التهذيب، ج .

(انظر صفحة ()).

والآن نقص عليك بعض خيانات المؤلف:

- واقعة الحجاج، وترك نكير القراء عليه ويبتعهم على يد إنكارا على صنيع الحجاج.
 - ذكر واقعة الجراح (الجزء الثاني صفحة) وترك إنكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم.
 - أبي مسلم، وترك أن الناس قتلوه وأن الخليفة يزيد بن عبد الملك استصوب صنيعهم، أي قتلهم يزيد بن أبي مسلم.
 - ذكر واقعة الأشرس، ولم يذكر أن العرب قاموا عليه، وكانوا مع الثائرين عليه.
- ولما ثبت أن ضرب الجزية على حديثي العهد بالإسلام لم يأمر به وإنما كان اجتهادا من بعض العمال بناء على أن إسقاط الجزية يورث نقصا في الخراج، وأن الخلفاء كلما عثروا على ذلك منعوا العمال عن ضرب الجزية، وردوا عملهم، وأنه كلما وقع مثل ذلك تألب العلماء والخيار من الناس. وأقاموا النكير على ضارب الجزية حتى قتلوا بعض العمال واستحسن الخليفة قتله فهل للمؤلف أن يحمل أوزار بعض العمال على بني أمية :
- " ولم يكن عمال بني أمية يأتون هذه الأعمال من عند أنفسهم دائما، بل كثيرا ما كانوا يفعلونها بأمر خلفائهم، كما قد إلى ور " (الجزء الثاني صفحة).
- أما كتاب معاوية إلى وردان فقد مر ذكره، وليس فيه للمؤلف موضع حجة.
- : " () ()
- فعمد بعضهم إلى التلبس بثوب الرهينة، فإدرك العمال غرضهم .
- فوضعوا الجزية على الرهبان. زيز بن مروان عامل مصر. فأمر بإحصاء الرهبان، وفرض على كل راهب دينارا" (الجزء الثاني صفحة مستندا إلى المقريري صفحة () من الجزء الثاني).

- في المنار: " "

- " ساقط من الطبعة الثانية. وفي الطبعة الأولى: " "

والمتب من المنار.

- في المنار والطبعة الثانية: " "

أيها الفاضل المؤلف، ما هذا الاجترأء؟ ما هذا ختلاق؟ ما هذا الكذب الظاهر؟
هاك نص المقریزی: "ثم قدم الیعاقة فی سنة إحدى وثمانین الإسکندروس، فقام أربعاً وعشرين
: خمساً وعشرين سنة، ومات سنة ستٍّ ومئة.
منه فیها ستة آلاف دینار. وفي أيامه أمر عبد العزیز بن مروان، فأمر بإحصاء الرهبان، فأحصوا، وأخذت
منهم الجزية، على كل راهب دینار. " (الجزء الثاني من المقریزی
()

فهل تجد فی هذه العبارة أدنى إشارة إلى أن عبد العزیز أو أحداً غيره شدد فی الجزية، فاختاروا
() للنجاة من الجزية، فما نفعهم؟ وإنما ()
على الرهبان، وهذا ليس فیه كبير شيء، فإن الرهبان وإن () من الجزية، ولكن لما لم يكن
الأمر منصوصاً لا فی الكتاب ولا فی السنة كان للاجتهاد فیه مساع، فاجتهد عبد العزیز، وأ .

-
- فی المنار: " . وفي الطبعة الثانية: " ، والصواب ما أثبت من الطبعة الأولى.
 - فی الطبعة الأولى: " .
 - فی المنار: "لا وإنما" " رداً على السؤال.
 - فی الطبعة الأولى والمنار: " ، وصحح فی الطبعة الثانية.